تشكلات النظام في الخطاب المسرحي المعاصر ـ مقاربة ثقافية ـ

System formations in contemporary discourse theatrical

حارث حمزة الخفاجي
Harith Hamza al-Khafaji

ملخص البحث

يعد النظام أحد المفاهيم التي انصهرت بمراحل الفكر الإنساني بتأملاته، وأفكاره وتطور معرفته بالكون والوجود، فتشكلت نظم عديدة وتعددت بتعدد المجال الانساني على سبيل المثال: النظام السياسي، النظام الاقتصادي، النظام الفلسفي، النظام التجريبي ...الخ.

ان البحث الحالي حول محاولة للبحث عن هوية النظام الجمالي بشكل عام والمسرحي على وجه الخصوص، والكشف عن تراكيبه وكيفية تشكلاته ضمن التحولات الوظيفية والمفاهيمية مما يؤكد اهمية التجربة الابداعية بما تمتاز به من بعد يتجه نحو التجريب والتحديث المستمرين، ولاسيما ما نجده في خطاب ما بعد الحداثة،

وقد تضمن البحث في فصوله ومباحثه محاور عدة تضمنت الفصل الأول : الأطار المنهجي وتضمن : مشكلة البحث، اهمية البحث والحاجة اليه، اهداف البحث، حدود البحث، ومن ثم تحديد المصطلحات.

الفصل الثاني الإطار النظري: وتضمن مبحثين:

- المبحث الأول: مفهوم النظام: بين النظرية والإجراء: وفيه حاول الباحث تأسيس مفهوم النظام ومن ثم البحث في كيفية تطبيقه وتشكلاته.
- المبحث الثاني: تشكلات النظام بين الخطابين النقدي والمسرحي: وقد اتجه الباحث نحو تحليل ابعاد التشكل في النظام المسرحي وأبرز الأنظمة في المسرح المعاصر مثل: النظام السياسي: برتولد بريشت، النظام الفلسفي: انطونان آرتو، النظام الانثروبولوجي، النظام الصوري.

ومن ثم استخرج الباحث ابرز مؤشرات الإطار النظري، والفصل الثالث الذي احتوى على محاور عدة أهمها: منهج البحث، عينة البحث وطريقة اختيارها، أداة البحث، أسس تحليل عينة البحث، تحليل العينة، إذ اختار الباحث عينة قصدية تمثلت بالنظام الصوري عند المخرج العراقي (صلاح القصب) في عرض مسرحية مكبث الذي قدم في بغداد ١٩٩٨، اما الفصل الرابع: فقد ضم الاستنتاجات والنتائج ومصادر البحث.

Research Summary

System is one of the concepts that fused stages of human thought his contemplations , and the evolution of his ideas and know the universe and existence , was formed several systems and numerous multi- humanitarian field , for example : the political system , the economic system , the system of philosophical , scientific system ... etc .

.

The current research around trying to find the identity of the system aesthetic in general and theater in particular , the detection of compositions and how Cklath within shifts functional and conceptual , which confirms the importance of Altgria creative as characterized by the following heading towards experimentation and update ongoing , and in particular what we find in the discourse of postmodernism ‘

The research has included in its chapters and its subjects included several axes, the first chapter : the methodological framework and ensure that : the research problem , the importance of research and it's needed, the goals of the research, the limits of the search, and then determine the terms.

Chapter II of the theoretical framework : included two sections:

•The first topic: the concept of the system : between theory and procedure : The researcher tried to establish the concept of the system and then look at how to apply it and Cklath.

•The second topic: formations system between monetary and theatrical speeches : The researcher went about analyzing the dimensions of morphology in the system and the most prominent theater systems in contemporary theater , such as the political system : Bertolt Brecht , philosophical system : Antonan Arto , anthropological system , the system Suri.

It is then extracted researcher leading indicators theoretical framework , and the third chapter , which contained several axes including: research methodology , research sample and the method selected , the search tool , the foundations of the analysis of the research sample , sample analysis , it chose researcher intentional sample consisted regime Suri when Iraqi director (Salah reeds) in a play Macbeth who presented in Baghdad in ١٩٩٨ , while the fourth chapter : the annexation of the conclusions and findings and research resources.

الفصل الأول: المهاد المنهجي

أولاً: مشكلة البحث:

أدى التطور في مجالات الحياة كافة إلى اتساع دائرة المعارف الإنسانية، ما أدى إلى السعي نحو إعادة النظر في الكثير من الآراء والتصورات المتوارثة بنوعيها:

الكينوني: المتمثل في صور الكون والإنسان وأصولها.
المفاهيمي: البحث في المسلمات والثوابت الممثلة للظواهر المعرفية والإنسانية بما فيها الظاهرة الإبداعية.

فلكل مرحلةٍ تطورية فكرها الخاص الذي ينبثق عنها، ليتحول نحو فعل متجاور يعمل على إحاطة ثنائية الزمن والمكان بهوية ثقافية تؤسس نظامها المعرفي: (ثقافياً،اجتماعياً، سياسياً، وجمالياً) انطلاقاً من مطلب كوني يتمثله فعل الضرورة التاريخية من جهة، وما يؤكداه البعدين: السببي والوظيفي من متطلبات التجسد على وفق خطاب كل مرحلة من مراحل الفكر الإنساني.

من هذا المنطلق يتضح النظام، بصفته مفهوماً يقترن في كثير من الأحيان بالمفهوم المعرفي (الابستميولوجيا)، لكل مرحلة فكرية من مراحل الوعي الإنساني، الذي يضطلع بدور المحرك الأولي لمجمل مجريات عمليات التحديث والتوالد والتحول في البنية الثقافية التي تحدث وتتغير نتيجة لفعل الاشتغال التفاعلي للعلاقات والعناصر حين تكون تحت تأثير فعل القراءة والتأويل، وما تحكمها من تصورات خارج حدود الثابت والمطلق للنظام بمفهومه الثقافي.

ولأن النظام الإبداعي، والمسرحي على وجه الخصوص إنما هو جزء من مكونات النظام المعرفي، وجدليته عبر التاريخ، فقد ارتسمت ملامحه التوجه الإنساني بمراجعة دائمة ومستمرة لجدلية النظامين الكوني والمفاهيمي، وتحديثها عن طريق الاشتغال على جزءٍ من أجزاءه، ليتسم به بقية أجزاء النظام.

من هذا المنطلق فقد تبلورت مشكلة البحث التي مثلها عنوان البحث الموسوم: تشكلات النظام في الخطاب المسرحي المعاصر.

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه:

تأتي أهمية البحث من كونه محاولة نظرية للبحث في ابرز المفاهيم المتداولة مثل النظام بشكل مختلف عما يطرحه البحث، وهو ما يفيد الدارسين والمشتغلين في مجال الفن والنقد المسرحي.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث التعرف على أبعاد الاشتغال الجمالي لمفهوم النظام وتشكلاته ضمن مساحة الخطاب المسرحي المعاصر.

رابعاً:حدود البحث:

الحد الموضوعي: ينحصر بدراسة مفهوم النظام انطلاقاً من كيفيات تشكله داخل الخطاب المسرحي المعاصر.

الحد المكاني: دراسة تشكلات النظام في خطاب المسرح العراقي عن طريق تحليل عينة يتم اختيارها بشكل قصدي.

خامساً تحديد المصطلحات:

النظام:

" في اللغة العربية يعرف النظام بأنه : " الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ، ونحوه ايضاً نظم وأناظم، { النظام }ايضاً الطريق والعادة(١)

اما في الحقل الفلسفي فالنظام: " وضع الأشياء أو الأفكار على صورة مرتبة، ولهذا شأنه في نظرية المعرفة وكسبها" (٢).

إجرائياً: فقد عرف الباحث النظام على وفق منطلقات البحث بأنه: فعل شمولي يضم داخله تراكيب عدة تتنوع في مرجعها بين المعنوي/ الرؤيوي، والمادي/ الوظيفي، ويمتاز النظام بتوالده، وتشكله الذي يتعالق عن مجمل التغييرات الحادثة في مساحة النظام الوجودي للفكر.

الفصل الثاني: الإطار النظري

المبحث الأول:

مفهوم النظام: بين النظرية والإجراء:

تمثل الحضارة الإنسانية، نظاماً ثقافياً متواصلاً مع مجمل المتغيرات في الوجود المادي والفكري على حد سواء، فكل ما يحيط النظام الحياتي للكائن البشري إنما هو عرضة للتأثر بمتغيرات الكون وظواهره بالشكل الذي ينتج عن تغير في السلوك الإنساني وانطباعاته نحو ما يحيط وما يشعر به من تصورات أو آراء، أو معتقدات يتحقق عن طريقها السلوك الثقافي.

فقد اخذ الفرد يبحث في علة ما حوله من أشياء وموجودات كونية، ولعل دافع هذا البحث هو الرغبة في تصنيف وتبويب ظواهر الوجود ضمن كيانات مفاهيمية تظم داخلها مجمل المتماثلات والمتجاورات التي تتماثل مع بعضها البعض في جزءٍ ما دون غيره كأن يكون تشابهاً في الشكل أو المرجع، أو قد يكون تشاباً على مستوى المعنى، وما يدخل ضمن عملية التشكل لعناصر البناء التواصلي في مستوييه: الإنساني والإبداعي على حدٍ سواء، إذ " إن الأنواع المعرفية تتراتب وفقاً للأنماط الاجتماعية في منظومة هرمية، وفي هذا الهرم المتغير من عصر إلى آخر يخترق النوع أو الأنواع المسيطرة جميع الأنواع الأخرى ويخضعها لرؤيته وتوجيهه" (٣) .

ضمن هذه المتوالية من التحولات المعرفية فقد بدى الخطاب الفلسفي بوصفه تمثلات نظرية تأخذ أبعادها التحاورية حتى تصل نقطة التلاشي في فعل المتغير الحضاري والتطبيقي لإجرائية التحاور التطبيقي الذي يمتاز بنسبيته وتوالد مجمل تراكيبه التي تتصادم خارج حدود مراكزها مكونة مراكز افتراضية تفتت المطلق والشمولي والثابت ... الخ، إلى نسق أولي يمكن الاصطلاح عليه بالنظام.

ولعل الفكر المثيولوجي / الديني، أولى اشكال الأنظمة، تتمثل في شموليته التي أكدت خصوصية البنية الثقافية للإنسان وجدلية التحول المستمر في التعرف على مكونات النظام الكوني للوجود وتشبث الفرد بتصويرات الآخر له عن الكون ابتدأ بالمثال الأفلاطوني، والوجود، مروراً بالمفكر الديكارتي، وصولاً إلى شمولية الفكرة الهيجلية،

---

١ . الياس معلوف ، منجد الطلاب، بيروت: دار العودة: ١٩٧٦ ، ص ٨٠٧ ـ ٨٠٨ .

٢ . إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣ ، ص ٢٠١.

٣ . صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٢ ، ص٩ .

والروح المطلق عند ليبنتز ... الخ. " ان المشكلة ليست في تعزيز المعرفة التأريخية أزاء المعرفة المادية، ولكنها تكمن في الحفر تحت المعرفة التجريبية في كلية عمومها، وذلك وصولاً لربط الكائن التأريخي مع مجموع الكائن، والذي يكون أكثر اصالة من علاقة الذات بالموضوع في نظرية المعرفة" ([٤]).

فتبادل المراكز بين الفكر المثالي والفكر المادي من جهة، وتعدد أشكال وكيفيات الروح المثيولوجي لكل عصر من جهة أخرى، إن هي الا براهين تكشف عن وجود النظام وتنوعه ضمن خاصية التشكل المستمر، وما يمتاز به من خاصية الاستقطاب لأدواة جديدة في التفكير ضمن فضاء القدرة الإدراكية للفرد وملكاته المتباينة والمتفاوتة بين مرحلة وأخرى، وهو ما يؤكد متوالية من التحول العلائقي لتلك البنية عن طريق اختلاف شكل العنصر وتعدد صوره انطلاقاً من جدلية التفاعل التي تحفزها عمليات الاختلاف والتداول بما يتسبب في توالدها وانشطاراتها المستمرة التي تبدأ من اصغر جزء / تركيب، حتى الوصول إلى الصورة الكلية التي تجتمع داخلها مجمل التراكيب، والتي يكون الفرد بذاتيته، الفاعلة التي تبحث في فضاء الـ (هناك) القادم من مستقبليته إلى الـ (آن) اللحظوي، انه "بدء حاسم لتفكيك نظام الكتلة الواحدة المتراصة وتحويل الوعي من مطلق الاشتغال بإفتراض قوانين متشابهة متكررة، إلى الفاعلية بقوانين مباشرة متغيرة، تأريخية في الأساس ذلك هو معنى التفرد الذي بدأ يطلق الذات من عقالها بإدراك الفردية" ([٥]) .

ان ما يضطلع به مفهوم النظام من دور في استيعاب الظاهرة الكونية وتفسيرها يتمثل في ضرب من العلاقة التبادلية المتواصلة بين النظام وتراكيبه، التي تتمثل في بحث ماهية العنصر بهدف الوصول إلى الطابع الماهوي للنظام الكلي،وبالتالي أعمام الكيفية التفسيرية في النظام نحو مجمل المركبات المكونة له من عناصر الوجود الإنساني كافة ـ مجردة كانت أو مجسدة ـ إي ان عملية تشكل النظام تمر بمرحلتين رئيستين:

١. المرحلة الجزئية: الانطلاق من الجزئيات إلى الكليات .
٢. الاعمامية: الرجوع من الكليات إلى الأجزاء.

ولأن النظام الثقافي للإنسان منذ تبلور وعيه، يتسم باعتماده مرجعاً كلياً وشمولياً يمتاز بطابعه الروحي على اختلاف مراحله الفكرية وحقبه الحضارية، بالشكل الذي تعددت فيه أنشطته الذاتية وما يتمثله فيه من استلهام لفعل الخطاب الكوني بثقافته من جهة، وعمليات الانزياح المفاهيمي والتأويلي لثقافة كل عصر من جهة أخرى.

فكل نسق تتوافر فيه اشتراطات الاتساق والإنسجام في عناصره وعلاقاته،على نحو تركيبي انما هو انتظام، ومنه يكون النظام بصفته شكلاً جمالياً يمتاز بأنه دائم التشكل والتطور والتوالد بفعل عملية الاشتغال التفاعلي للعلاقات والعناصر/ التي يقترح الباحث تسميتها على وفق منطلقات البحث بـ (التراكيب)، وبالتالي يتأكد مفهوم النظام بمجمل مكوناته التركيبية بوصفها مادة اولية تقع تحت تأثير عوامل القراءة والتأويل، وما تحدثه من تغيرات في شكل الثنائية التركيبية (المادة ـ المعنى)، فالإتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب أو نظام

[٤] . بول ريكور، صراع التأويلات ـ دراسات هيرمونطيقية، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٥ ، ص ٣٨ .
[٥] . مصطفى الكيلاني ، من المطلق إلى التفكيك والنسبية، مجلة ثقافات، البحرين، العدد الأول، ٢٠٠٢ ، ص ١٨٣ .

ما، اما الإنسجام فهو يختص بفعل التحاور القرائي، بحث يتطلب بناء علاقة منسجمة بين الوعي القرائي والنظام، ولحظات الضرورة التاريخية لفعل تشكل وتداول النظام.([٦]) اقتباس من لسانيات النص)

ان تشكلات النظام الحداثي امتازت بنزعتها التجريبية التي يعلوها المنطق العلمي (التجريبي) من جهة، والبحث في مدى الخروج بتساؤلات جديدة عن طريق البحث في مرتكزات العلوم التطبيقية ومفاهيمها من جهة أخرى، ما أدى إلى تفتت النظام المثالي والمثيلوجي وانهياره أمام هيمنة المنطق وسيطرة الفكر المثالي على اساليب التأمل للغيبيات والمجردات عن طريق تمثلاتها لمفهوم الروح المطلق.

ان جدلية الظواهر الفكرية، وما ينعكس عنها في المركب الإجتماعي والثقافي والإبداعي على حدٍ سواء، فمجمل متغيرات النظام الحداثي إنما هي نتائج انبثقت عن المتغيرات في تراكيب النظام الفكري للفرد والمجتمع، إذ تغيرت طرائق واساليب التفكير والمعالجة للقضايا الوجود على مستويي: الإحالة والرؤية، إلا انها بشكل عام اعتمدت تأسيس نظام، تتضح فيه المنطلقات المرجعية والاسلوبية التي تستند إلى فعلها الذي امتاز بمركزيته وتعالقه مع المعطى الثقافي والإسلوبي لنظام المرحلة.

لقد اتسمت مرحلة الحداثة في الفكر الإبداعي بالسعي نحو المغايرة في تشكلاتها التي انعكست على النظام الجمالي ومحاكاته الوجود ابتدأ ذلك في الواقعية، الرمزية، التعبيرية، والسوريالية. حيث أكدت هذه الإتجاهات وغيرها على المنحى التجريبي الذي هيمن عليه طابعي: الإختزال والتكثيف على رؤاه ومعالجاته، انطلاقاً من اختزالية الرمز، وطاقوية المفهوم في تشفير الذات وتشحذ علاقاتها التوليدية للنص المفترض مع لحظة القارئ ضمن تزامنية الحضور والغياب في الواقع اللحظوي في انظمة تتواصل في تشكلاتها مع معطيات الخطاب الثقافي للفرد القارئ" انها تقيم علاقة متوترة بين مقاربتين كان ينظر اليهما على الدوام انهما متضادتين، اما الأولى فهي الشرح الذي يقرب العلوم الإنسانية من العلوم الطبيعية، وأما الثانية فهي التأويل الذي لا يدع الملاحظة التجريبية تلامسه، ولكن يفتح حيزاً للمناقشة بين تأويلات متنافسة مع المخاطرة بقراءة النصوص الكبرى لثقافتنا"([٧]).

ان التحول الأكثر وضوحاً وتأثيراً في تغيير مسار الفكر، وصيرورته الثقافية في مرحلة ما بعد الحداثة عن طريق تمثل النظام بصفته تشكل افتراضي قائم على متوالية المراجعات من قبل الوعي لفرضية الشكل التاريخي، وما تضطلع فيه اللغة بمفهومها الثقافي الذي يلتقي فيه قطبا الحراك غير المركزي [الوعي ـ الخطاب] والذين يمثلان جوهر عملية التشكل في نظام ما بعد الحداثة بتجريبيته المستمرة واختباراته الدائمة للأداة والإجراءات على حدٍ سواء، بعد ان تتكاثف داخل هذه العمليات مجمل المستويات السياقية والمضمونية في نص/ خطاب النظام الثقافي .

المبحث الثاني:

تشكلات النظام بين الخطابين النقدي والمسرحي:

[٦] . ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ ، ص ٥ ـ ٦ .

[٧] . بول ريكور، مصدر سابق، ص ١٥ .

لعل ابرز ما يغلب على نظام العصر الحديث وما أعقبه، هو التعالق المتواصل والمتبادل بين المنجز الإبداعي باقي الحقول المعرفية، تبثه المتغيرات الثقافية والتقنية، التي اتسمت بطابعها التجريبي التجريبي، فيما أكدت المناهج النقدية على انتفاء الفهم والتفسير المباشرين لعملية دراسة النتاج الأدبي والفني .

والخطاب المسرحي نتيجة منبثقة عن النظام الأسطوري الذي يوصف بأنه احد مظاهر التفاعل الثقافي وتحولاته الانعكاسية، ضمن جدلية الوعي الإنساني وأشكاله التي ابتدأت من التجريد للظاهرة المادية مثل: المطر، الشمس، ... الخ، وإرجاعها إلى علاتها في صورة المسبب/ الـ (اله) ، مروراً بالطوطم، وصولاً إلى القصص التي نسجتها أجيال الشعوب على مرور مراحلها التطورية وامتداد تاريخها الثقافي .

فالعملية التحليلية لعصر ما بعد الحداثة، تظهر فعلاً تحولياً يفتت النظام النصي بمفهوميه: الحاضر، والثابت، ليحل محله نصاً آخر يمتاز بالشمولية والكلية التي تعمل على ترصين وقراءة جدلية الخطاب انطلاقاً من ثنائية ـ الضرورة التاريخية والوظيفة، التي يتعالق فيها المدون بالأساطير وتتساوى معاً ضمن مرتبة الكليات التي ترجع الفن الدرامي إلى نقطة البداية التي لا تعتمد مركزاً محدداً، وتتوحد في شكل المناقلات لقصص وأحداث على شكل شفاهي-ألسني، أي إنها قد تجاوز مساحة التدوين في النص المكتوب، متمثلة، واعتمد وصفا تاريخياً ـ ثقافياً على نحو شمولي ينقل صور الخطاب عبر فضاء العرض المسرحي ضمن مساحتي الزمان والمكان، " وليست المسألة بقراءة النص في ظل خلفيته التأريخية، ولا في استخدامه للإفصاح عن الحقب التأرخية ذات الأنماط المتعارف عليها، فالنص والتأريخ منسوجان ومدمجان معاً كجزء من عملية واحدة والدراسات الثقافية تركز على إن أهمية الثقافة تأتي من حقيقة أن الثقافة تعين على تشكيل وتميط التأريخ" ([٨]).

لقد مرت النظم الإبداعية ولاسيما المسرحية منها، بمراحل عدة من التشكلات تنوعت بحسب تنوع المنطلقات الفكرية الجمالية، لكل مرحلة أو اتجاه فني، بما تمثله من طرائقه النظرية الإجرائية التي تحقق للمنهج مساحته الإشتغالية والتواصلية على وفق مجمل التصورات المكونة للعناصر والعلاقات بوصفها تراكيباً تدخل ضمن تشكل النظام الجمعي بكليته التأريخية، سعياً إلى استلهام خطاب الزمن في حدود اللحظة/ الـ (آن) لزمن العرض المسرحي، بما يتجاوز الفعل الفردي إلى استلهام معطيات الخطاب انطلاقاً من ثقافة كل عصر.

إذ برزت اتجاهات مسرحية اعتمدت الإختلاف بصفته إستراتيجية الخروج عن المركز، وبحث فرضيات البحث في المخفي والمهمل الهامش، في عناصر المنجز الإبداعي، ولاسيما المسرحي منه مثل الديكور والإضاءة (السينوغرافيا)، فضلاً عن تشكيلات الممثلين بما في ذلك الصورة الفنية، وكلها عناصر كان ينظر إليها بصفتها من مكملات العرض المسرحي.

إذ برز المسرح الملحمي، القسوة، الفقير، المسرح الثالث، مسرح الصورة، ... الخ، بوصفها محاولات تعتمد متوالية من الهوامش لتصير مراكز أولية على نحو افتراضي تنفتح على مساحة الكلي على وفق معطيات الضرورة التأريخية وتمثلاتها في أبعاد التحقق الوظيفي للخطاب الثقافي، ضمن هدف التجريب الاستبطاني، الذي تفتت فيه عناصر النظام، وانفتحت العلاقات بوصفها أنظمة كلية متحولة ومتوالدة " إذ يتبادل الظاهر والباطن الأدوار،

[٨] . عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ ، ص ١٧.

ويصبح الضمني صريحاً، بينما يتحول الصريح إلى غطاء هش تطويه القراءة وتلغيه لكي يكون العمق هو السطح حيث لا سطح ولا عمق، ولكنه النص مكشوفاً بالقراءة التشريحية" ([٩]).

إن ما أفرزته حالة ما بعد الحداثة من أفكار ومفاهيم لم تقتصر على اقتراح النظرية الجديدة فحسب، إنما أسست مهاداً إجرائياً اكتسب أداته التحليلية والتطبيقية في مساحة الخطاب المسرحي بوصفه نظاماً تتكاثف داخله مجمل الحقول المعرفية التي تحيط بالفعل الثقافي الإنساني وتتفاعل معه، مثل الحقول: السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والتي تشكل بالتالي النظام المعرفي الفلسفي، وما تنبثق عنه من الإجراءات الجمالية في مجال تشكل النظام الإبداعي والمسرحي، فقد اعتمد المخرجون نظماً إجرائية اختلفت بإختلاف عملية تشكل النظام الجمالي والإخراجي في الخطاب المسرحي، يمكن استخلاصها بحسب مرجعها الثقافي كما في ادناه:

- النظام السياسي: برتولد بريشت جدلية التغريب عن مركزية الحدث إلى تأريخية الخطاب.
- النظام الفلسفي: انطونان آرتو: نفي المعرفة المسبقة نحو الارتداد إلى هوامش الطقس المنقرض والأساطير في هوامش الثقافة التاريخية للخطاب الإنساني.
- النظام التقني: كروتوفسكي: نفي المطلق النصي عن طريق إعلاء الهامش التقني واختزال الخطاب إلى ما يوفر فعله الشمولي في الرؤية الثقافية لتاريخية النظام المسرحي.
- النظام الانثروبولوجي: ايوجينا باربا: نفي كل ما يتعلق بالمحلية والجغرافية في النظام الثقافي، واستبداله بمقايضة الآخر الغائب والمضمر بثقافته، سعياً إلى تشكيل نظام ثقافياً قائماً ادراك اللحظة التاريخية ضمن مجال التشارك المسرحي.
- النظام الصوري: جوزيف شاينا، تودوروش كانتور: التشفير الدلالي للنص السياقي، وتحويله إلى نظام توالدي قائم على فعل الثقافة الصورية والتفاعل بين الدوال سعياً إلى جعل الخطاب المسرحي مجالاً صورياً يرتكز على متوالية من الإستراتيجيات: الإختلاف، التجاور، التماثل، والإنقطاع ضمن آنية المكان وثقافة التاريخ.

فـ " لقد فجرت الحداثة وما بعدها كل ثقوب الأمان التي كانت تحفظ كنوز النفس. أفرغت السماء من السكان وعاودت ملء اللاوعي وإشباعه بالمكبوتات، وبهذا فقد ألغت الانتماء المشترك إلى الأسطورة والعقل. ان هذا الفصل، الحتمي بلا ريب، كانت له نتائج مثمرة وهدامة، فهو إذ سمح ببروز علوم الطبيعة، فقد زرع أيضاً الاضطراب في توازن الإنسان النفسي، وجعله كائنا عصابياً. ومنذ ذلك الحين، أي منذ الأزمنة الحديثة، صار يوضع الانتماء المشترك إلي هذين النظامين الواقعيين (الأسطورة والعقل)، في مقابل جدلية تناقضهما ". ([١٠]).

[٩] . عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، ١٩٩١ ، ص٩ .

[١٠] . ينظر : احمد المهنا، الانسان والفكرة، بحث منشور على الشبكة العالمية الانترنت، www.aelaf.net.

عليه يبرز تشكل النظام في الحقل المسرحي، بوصفه متوالية من المراجعات الثقافية لمركبات النظام عند انصهارها في خطاب الضرورة التأريخية، إذ يجد الباحث علاقة تبادلية مستمرة من: التشكل والتحديث والتفتت، والعودة إلى التشكل بين النظام والخطاب انطلاقاً من فعل التزمن الثقافي للحظة التاريخية.

مؤشرات الإطار النظري:

١. النص الدرامي مقترح ثقافي، ونظام أولي يتحرك ضمن معطيات الرؤية الكلية لخطاب العصر وفرضياته.
٢. يمثل النظام في مرحلة ما بعد الحداثة، تشكل مستمر للرؤى والتحولات الثقافية والمعرفية على المستويين: التنظيري والإجرائي، فالنظام إنما هو بحث مستمر عن افتراض مركزي يمتاز بأنه شمولي، أولي، في الوقت ذاته.
٣. تمتاز عمليات التشكل الثقافي في نظام الخطاب المسرحي، بأنها ذات طابع تجريبي، تهيمن عليه الأبعاد التجريبية عن طريق محاولة اعتماد اسلوب البحث العلمي التجريبي واعتماد الوسائل غير التقليدية داخل ابعاد التجربة الجمالية، ولاسيما المسرحية.
٤. تمر عملية تشكل النظام تمر بمرحلتين رئيستين:
   أ. المرحلة الجزئية: الانطلاق من الجزئيات إلى الكليات .
   ب. الاعمامية: الرجوع من الكليات إلى الأجزاء.
٥. ترجع عملية التشكل القرائي إلى العلاقة بين النظام بكليته، والخطاب بشموليته، فهذه تمر في متوالية دائرية تمثل في أربع مراحل:
   أ. التشكل.
   ب. التحديث.
   ج. التفتت.
   د. إعادة التشكل.

الفصل الثالث:

إجراءات البحث:

١. منهج البحث: يعتمد البحث المنهج الوصفي في تحليل عينة بحثه.
٢. عينة البحث وطريقة اختيارها: اختار الباحث عرض مسرحية مكبث للمخرج العراقي (صلاح القصب) التي قدمت في مدينة بغداد عام ١٩٩٨ ، ذلك لما توافرت في هذا من ميزات انسجمت ومؤشرات الإطار النظري مثل هيمنة البعد التجريبي على المنظومة الدلالية في بعدها الصوري، واستقراء النظام الثقافي في تشكل النظام المسرحي.
٣. أداة البحث: اعتمد الباحث في تحليل عينة بحث:
   أ. المشاهدة المباشرة للعرض المسرحي.

ب. الصور الفوتوغرافية للعرض المسرحي.

٤. أسس تحليل عينة البحث: يعتمد البحث أسساً محددة في تحليل عينته تتلخص بالآتي:

أ. اعتماد النص المسرحي بوصفه نظاماً أولياً في تأسيس الخطاب الثقافي المسرحي.

ب. مراحل قراءة النص والمسرحي في تشكل نظام الخطاب المسرحي:

- المرحلة الجزئية: الانطلاق من الجزئيات إلى الكليات .
- الاعمامية: الرجوع من الكليات إلى الأجزاء.

أ. تمر الأبعاد القرائية للعلاقة بين النظام والخطاب الثقافي بأربع مراحل:
التشكل.التحديث.التفتت.إعادة التشكل.

٥. تحليل العينة:

يتجه مسرح الصورة عند المخرج (صلاح القصب) إلى محاولة استلهام آليات النظام المعاصر وتشكلاته، عن طريق تأسيس الخطاب المسرحي ، في عرض يعتمد المغايرة، وتجريب اسلوب غير تقليد وغير مستهلك في الشكل والمضمون في محاولة الإنسجام ومجمل التحولات الثقافية للعالم المعاصر.

إذ يرتكز مسرح الصورة على ثوابت و الاكتشاف ، بعد أن اصبح العالم المعاصر بوصفه نظام أشاري ودوال رمزية، تعمل على احتواء الإنسان داخل كم من المفاهيم و الرؤى و التصورات التي سعت إلى الخروج عن محددات المادة في الزمان و المكان الطبيعيين، والبحث عن أمكنة في العالم آخر يحمل بين تراكيب انظمته أنشاءً علائقياً كلياً بين (الكلمة ، الصوت ، المادة ، اللون ، الصورة) إذ يقوم مسرح الصوره في سياقه التعامل مع عناصر أعلاه على نحو غرائبي – فكري ، يتجه إلى المشاكسة الحية في التلقي و تشاكلها العلائقي، انطلاقاً من معطيات فعل الضرورة التأريخية، والتمثل الوظيفي لنظام الخطاب المسرحي، فعملية التشاكل إنما هي جدل فكري المرجع، ديناميكية الطابع.

فيتجه (القصب) إلى أعتماد ثنائية (المادة – المعنى) في بعد تجريبي يحاول دراسة ثقافة العالم المعاصر داخل إشكاليات النظام الكلي الذي يبتدأ بالمرحلة التجزيئية لتراكيب الأداء الاجتماعي والسياسي ضمن عمليات معقدة تحيط بها شبكة العلاقات الأتصالية للمجتمع، فيبدو أن منهج مسرح الصورة و هدفه قائمان على تعزيز الدراسة الجمالية في تلقي المنتج الأبداعي بين النص و العرض على وفق ثلاث مراحل :المرحلة الدلالية . مرحلة التأويل – الجمالي.

فتعمل شبكة العلاقات في الاعتماد على طابعها الغرائبي في المستوى الحسي على أثارة دهشة المتلقي و تحفيزه على تجاوزها بأتجاه أكتشافه للبعد الدلالي ، و الدخول إلى مساحة التأويل الجمالي للصورة المسرحية داخل فعل النظام .

فنجد (القصب) ينتقل في عوالمه الصورية بين النص الشعري في (عزلة الكريستال ، الملك لير ، مكبث) و النص التشخوفي في (النورس ، الخالفانيا ، الشقيقات الثلاث) فيحاول التفتيش في حوار النص المقترح و الدخول إلى بنيته العميقة معتمداً المستوى السياقي بصفته دالاً يدخل عن طريقه إلى المركب العلائقي بشكل عام بغية تحويل الخطاب اللساني لمجرد في النص إلى الخطاب بصري يسعى إلى الإشتغال على البعد المكاني في العرض على النحو الصوري.

فيبرز اعتماد (المخرج) آلية تفكيكية في عملية تحويل النظام النصي إلى نظام كلي يسعى إلى البحث عن مركزية أولية للتجربة التجريبية والتقنية في تشكلاتها داخل النظام الصورية ، مبتدأ باستبدال النص الشكسبير بسيناريو أولي يضم عدداً من المشاهد و الأحداث وهي ما يمكن اقرأنه بالمرحلة الجزئية، التي تتفكك فيها تراكيب المقترح النصي/ الخطاب، ثم أسس نص العرض الصوري بأدخاله هذه الحوارات في لقطات على نحو سينمائي شكلت نص العرض الصوري عن طريق ما تضمنته من تفصيلات وصفت شكل العرض من حيث المفردات المستخدمة و حركتها، و النسق الصوري للمفردات في اللون و الهيئة و التشكيل وهو ما يقترن بالمرحلة الاعمامية.

فقد إمتاز نظام العرض بتشكله من مفردات مختلفة عمد (القصب) إلى إفراغها من مركزيتها الوظيفية ودلالتها المرجعية مضيفاً عليها طابعاً علامياً ووظيفة دلالية استندت إلى إمكانات مرحلة ما بعد التشكل المتمثل بمرحلة التحديث للأداة الثقافية داخل فعل الإنصهار العلائقي.

من زاوية الاشتغال على فكرة النص ، فقدا نفتح خطاب (مكبث) وتفتت في الوقت ذاته داخل مسار شمولي رؤية العرض اعتمد مركزاً اولياً تمثل بمفهوم القتل بوصفه تجاور تمثلي لأقطاب المعادلة الثقافية، فيمثل دخول رجل (السلطة) إلى مساحة الأداء هو يحمل قتيله على كتفه و معولاً (طبر) كشفاً عن البعدين التأريخي والوظيفي، يتعزز ذلك بدخول مكبث و حاشيته في سيارة، تسير بحركة دائرية، يتبعها دخول الليدي مكبث في سيارة (فوكس واكن)، تتوقف وسط المكان لتنزل الليدي وهي تستطلع المكان ، يرافق ذلك نزول رجل مخنث يلعب دور مستشار دنكن من سيارة مكبث فاتحاً بابها، لينزل مكبث و من معه بملابس عصرية، و هو ما يشير إلى أحدى توجيهات مسرح الصورة في محاولته الاشتغال على المفاهيم المتعلقة بالوجود الإنساني بشكل عام ، و محاولة تأسيس نظام دائم التشاكل ضمن خطاب التزمن الثقافي، بتجريبيته، ثم دخل من أعلى المنصة الأداء مجموعة ارتدت ملابس رجال الإطفاء و أمسك كل منهم بـ (تورج لايت) تحركوا بشكل دائري و هيئه من يبحث عن شيء ما.

فيما تمسك شخصية أخرى بمنشار و تباشر يقطع أحدى الأشجار الموجودة في مفردات مكان طبيعي .إذ تقوم فلسفة التحول عند (القصب)، فنجد مفردة الأطفائيين تشغل مركزاً افتراضياً مجاوراً يوصفها نقيضاً لفعل القتل يتسبب في الدمار و الفوضى، سائق الدراجة استخدام آلة لقطع الورق، لقطع أحذية عسكرية (البساطيل)، أثناء عملية الهروب الأطفائيين و بعدها وهو ما يولد مركزاً فكرياً أخر ، حاول فيه المخرج معالجة قضية الحرب بصفتها أحدى مظاهر العالم المعاصر و تبرز عملية نزول قتلى مكبث من سيارة (كرونا) بيضاء اللون ، وهم يحملون ماء و مساحيق تنظيف محاولين غسل السيارة من آثار الدماء المفترضة ، يزامنها دخول الليدي مكبث مرتدي ثوباً فضفاضاً ذا لون أحمر ، فيوجه رجل عليها ضوء احمر صادراً من مصباح ليزري فردد

(زولي أيتها البقع ..... قلت زولي....الخ) .

الفصل الرابع:

استنتاجات البحث ونتائجه:

الاستنتاجات:

١. يمكن وصف النظام بأنه اثر كلي يتكون من تراكيب فكرية تختص بالمعرفة والتأمل، وإجرائية تختص بالتفسير والتحليل والتحديث بشكل ينسجم ومعطيات الحراك الكوني والإنساني

٢. يمثل النظام فعلاً جمالياً يقترن بمراحل المتحول الفكري والثقافي عبر عمليات مستمرة من التفاعل والتحديث لمبادئ التشكل وإجرائية الأداة، على المستويين: الفكري والتطبيقي الذي تضطلع به أنظمة التفكير المعاصرة.
٣. يمتاز تأريخ الأنظمة بأنه سلسلة متواصل من الانهيارات وتبادل الأدوار والمواقع من الدائرة المعرفية في الكون، من دون التمركز داخل بؤرة محددة، إذ هي تمركزات افتراضية ومؤقتة تأخذ شكلها واشتغالها من معطيات الخطاب المعرفية ضمن زمن ومكان معينين.
٤. مرت النظم الإبداعية ولاسيما المسرحية منها، بمراحل عدة من التشكلات تنوعت بحسب تنوع المنطلقات الجمالية والفكرية، لكل مرحلة أو اتجاه فني، بما تمثله من طرائقه النظرية الإجرائية التي تحقق للمنهج مساحته الإشتغالية والتواصلية على وفق مجمل التصورات المكونة للعناصر والعلاقات بوصفها تراكيباً تدخل ضمن تشكل النظام الجمعي بكليته التأريخية.
٥. اختلفت تشكلات النظام في الخطاب المسرحي وتعددت بتعدد عمليات التجاور مع الحقول المعرفية فكانت: النظم السياسية، الإجتماعي، الفلسفي، الإقتصادي، الصوري .... الخ.

النتائج ومناقشتها:

١. النظام في عرض مسرحية مكبث، تمثل شمولي ـ صوري، يتجه فيه المخرج نحو استفزاز ذاكرة المتخيل الإنساني بما تبثه لسانيات النص من تشكلات صورة تتزاحم فيما بينها داخل فضاء التشكل الشمولي للخطاب المسرحي، إذ نجد القصب يعتمد مفردات ذات ابعاد متعددة المرجع، مثل البراميل الحمراء التي تشير الى البترول تارة، والى الحروب والدمار الذي لحق بالبشر نتيجة الصراع على الثروات، تارة اخرى .
٢. يعتمد (القصب) في تشكلات نظام عرضه على استبعاد المفردة ذات المساحة الدلالية المحددة، والإعتماد على مفردات تقوم على التجاور والانقطاع مع المنظومة المرجعية عند المتلقي، بهدف انفتاحها على مجمل مستويات التشكل الإجرائية والتأويلي على حد سواء، على سبيل المثال: فقد استعمل (القصب) قاطعة الورق لقطع الأحذية العسكرية، او استعمال الضوء الأحمر للدلالة على تلوث العالم بالدم.
٣. تؤكد تشكلات النظام في خطاب مسرح الصورة طابعاً تجريبياً يعمل على تجريب تراكيب مغايرة في أدواتها ووظائفها، وفي قدرتها على التشكل والتحول المستمر، يتمثل ذلك بتشفير النص، وتحويل نظامها اللساني الى نظام صوري ينفتح على القراءات والتأويلات المتعددة

قائمة المصادر

١. إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣.
٢. احمد المهنا، الإنسان والفكرة، بحث منشور على الشبكة العالمية الانترنت،www.aelaf.net
٣. الياس معلوف ، منجد الطلاب، بيروت: دار العودة: ١٩٧٦ .

٤. بول ريكور، صراع التأويلات ـ دراسات هيرمونطيقية، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٥

٥. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٢ .
٦. . عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ .
٧. ـــــــــــ، الكتابة ضد الكتابة، بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٨. محمد خطابي، لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ .
٩. مصطفى الكيلاني ، من المطلق إلى التفكيك والنسبية، مجلة ثقافات، البحرين، العدد الأول، ٢٠٠٢ .